دراسة لأوضاع المدارس بالغرب الأقصى فى عهد بنى مرين

د/ صلاح السيد عبده رمضان

المقدمة :

إن المغرب الأقصى من البلاد العريقة في الحضارة تعاقبت على أرضه الشعوب والدول منذ فجر التاريخ ، وتمازجت في أجوائه الحضارات الفينقية واليونانية والرومانية والبيزنطية والعربية وبسيطرة العرب على البلاد انتشر الإسلام ، مما جعل السكان يتعلمون اللغة العربية ولما كان عهد حسان بن النعمان الغساني والي أفريقية من قبل عبدالملك بن مروان أصبحت العربية لغة البلاد الرسمية وفضلا عن ذلك فقد أرسل عمر بن عبدالعزيز إلى أفريقية عشرة فقهاء يعلمون الناس القرآن الكريم والدين الإسلامي ، كما انتدب موسى بن نصير عددا كبيرا من الفقهاء والقراء لهذا الغرض . (١)

وبفتح العرب للمغرب الأقصى أصبح جزءا هاما لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي وبهذه الصفة خضع لما خضعت له بقية الأجزاء المكونة لهذا العالم ، الذي كان يتمتع بروابط دينية متينة وعلاقات ثقافية وحضارية جمعت أواصر المسلمين ووحدت صفوفهم سواء كانوا في الشرق أو في الغرب ، فكان طبيعيا أن يتأثر المغرب بما كان يجري في المشرق الإسلامي.(٢)

وإذا كانت التربية الإسلامية في المغرب الأقصى قد استمدت أصولها من المشرق بدءا من الفتح العربي فإن المغرب سرعان ما وقع تحت تأثير الأندلس نظرا للتفاوت الحضاري الذي نشأ بين الأندلس والمغرب في قرونهما الأولى بحيث لم يمض على فتح الأندلس ثلاثة قرون من الزمان إلا وازدهرت حضارتها ازدهارا هائلا . وذلك بفضل ازدياد قوة تيار التأثير الأندلسي على المغرب والذي يظهر أثره واضحا في ذلك الاتحاد السياسي الذي جمع بين المغرب والأندلس في كيان واحد منذ عهد المرابطين وحتى نهاية عهد الموحدين(٣).

وبتولى بني مـرين مقاليد الحكم في المغرب الأقصى على أنقـاض دولـة الموحدين ، بلغت النهضة الشاملة تعم جميع أرجـاء بـلاد المغرب الأقصـى ، وظهر أثر ذلك واضحا في النهضة الفكريـة التـي بلغـت أوج ازدهارهـا فـي هذا العهد.

وكانت هذه النهضة الفكرية نتيجة لعدة عوامل منها (٤) :

-كان بنو مـرين على جانب كبير من الثقافة العربية ، بل كان بعضهم مبرزين في ميادين العلم والأدب ، فكـانت لهم مشاركة فعالة فيه ، ورغبة أكيدة في التقـرب من العلماء والأدباء ليستفيدوا منهم وليتبادلـوا معهم الأفكار والآراء فكـان بلاطهم مدرسة تعج بالأسـاتذة ورجـال العلـم والأدب يقصدونـه مـن كـل فج عميق.

-حركة الهجرة التي شهدها المغرب في عهد بني مرين ، حيث تواردت عليه مـن مختلف القواعد الأندلسية المتساقطة في يد الأسبان أسر كثيرة اختارت المغـرب وطنا لها فاستوطنت بعض

مدنه بصفة نهـائية ومن ذلك شخـصية ابن الخطيب الأندلسي الـذي كان له أكبر الأثر في حياة المجتمع المغربي الثقافية.

-الاهتمام بالتعليم في عهد بني مرين ،حيث إن المـدارس في هـذا العـهد كثر إنشاؤها من قبل السلاطين الأمر الذي جعل الاهتمام بتأسيس المدارس فـي هـذا العهد ظاهرة تستحق الدراسة ، وذلك للوقوف على الأصول التاريخية لهذه الظاهرة ، وهذا ما جعل الباحث يهتم بقضية البحث .

قضيـة البحث :

تتبلور قضية البحث في التساؤل الرئيس التالي :

- مـــا وضعية المدارس بالمغرب الأقصى في عهد بني مرين ؟ ويتفرع عن هـذا التساؤل الرئيس عدة تساؤلا ت فرعية تتضح فيما يلي :

-ما السياقات المجتمعـية الـتي سادت في عهد بني مريــن وانعكاســاتها علــى التعليم في هذا العهد؟

-ما الأصول التاريخية لظاهرة تـــأسيس المــــدارس في عهـــد بني مرين ؟

-ما الأسباب التي أدت إلى ظهور ظاهرة تأسيس المدارس في عهد بني مرين ؟

-ما السمات المعمارية التي تتميز بها المـــدارس في عهـــــد بني مرين ؟

- ما إسهامات سلاطين بني مرين في تـــأسيس المـــــدارس وتمويلهــــا ؟

-ما النظام التعليمي المتبع داخـــــل المـــدارس في عهـــد بني مرين ؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية :

-سد النقص الذي تعاني منه الدراسات التربـوية المغربية ، والمــدارس المغربيــة في عهد بني مرين هي واحدة من تلك الدراسات التي لم تحظ بقسـط وافـر مـن الدراسة والتحليل .

-يمثل عصر بني مرين بداية فترة تحول النقود الإسلامي من غرب البحر المتوسـط إلى شرقه حيث أضحت الدولة العثمانية تتحكم في مصير العالم ومــع ذلــك فلـم تتمكن مطلقا من بسط نفوذها المباشر على المغرب مما يسر لدولــة بنــي مريــن وخلفائها أن يرعوا إلى حد كبير الحركة العلمية وما يتصل منها بالدين الإســلامي على وجه الخصوص (٥) .

أهداف البحث :

تتضح أهداف البحث في تحقيق مايلي :

-الكشف عن السياقات المجتمعية التي سادت عهد بني مرين وانعكاساتها على التعليم .

-التعرف على الأصول التاريخية لظاهرة تأسيس المدارس في عهد بني مرين .

- الوقوف على الأسباب التي أدت إلى ظهور ظاهرة تأسيس المدارس في عهد بني مرين.

-إبراز العناصر المعمارية التي تميز المدارس في عهد بني مرين .

-توضيح إسهامات سلاطين بني مرين في تأسيس المدارس وتمويلها .

-بيان النظام التعليمي المتبع داخل المدارس في عهد بني مرين .

منهج البحث :

سوف يستخدم المنهج التاريخي باعتباره المنهج الذي يرجع إليه في تحليل ظروف العصر الذي نشأت فيه هذه المدارس وكذلك إلى تحليل هذه الظاهرة وربطها بالقوى التي أثرت فيها خلال هذه الفترة التاريخية وذلك بالرجوع إلى المصادر المختلفة والاستعانة بالمصادر الثانوية ذات الصلة بموضوع البحث .

حدود البحث :

الحد الزمني : سوف يتخذ البحث من سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٤ م بداية له لأنها السنة التي أنشئت فيها أول مدرسة في عهد بني مرين وهي مدرسة الصفارين التي أنشئت على يد السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبدالحق المريني ،

ومن سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٠ م نهاية له حيث إنها السنة التي أنشئت فيها أجمل مدرسة في المغرب من الناحية المعمارية والفنية . كما أنها تعد آخر المدارس العظيمة التي شيدت في عصر بني مرين بالمغرب الأقصى (٦) .

مصطلحات البحث :

بنو مرين : ينتمون إلى قبيلة زناتة تلك القبيلة التي أدت دورا لا يستهان به في تاريخ المغرب الأقصى ، وظل يجانب الدولة عبدالحق المرين ، وكان له من النفوذ في القبائل فأنتهز هذه الفرصة وظل يجانب الموحدين حبل الملك زمنا، ثم قضى ، فخلفه أولاده الذين أوقعوا بالموحدين في موقعة نكور عام ٦١٣ هـ وكانت موقعة فاصلة ، أعلن في أعقابها يعقوب بن عبدالحق نفسه سلطان على المغرب ، وتلقب بالمنصور ، وكان ذكيا طموحا ، فحاول استرجاع رقعة المغرب الواسعة التي كانت أيام الإمبراطورية الموحدة (دولتا المرابطين والموحدين) والاستمرار في تحقيق هذه الوحدة (٧) .

الدراسات السابقة :

من سمات المعرفة الإنسانية أنها تراكمية لا تقف عند حد فكل خطوة يخطوها باحث جديد لا تبدأ من فراغ ، وإنما تبدأ من حيث انتهى الآخرون ، ليضيف إليها جديدا وبهذا يحدث نوع من تواصل المعرفة الإنسانية .

ولكن في حدود – علم الباحث أنه لم توجد إلا دراسة واحدة في هذا الموضوع ، ولكنها دراسة يغلب عليها الطابع التاريخي البحت ، ولكنها تعتبر إطارا مرجعيا لهذا البحث في الكشف عن طبيعة المجتمع في المغرب الأقصى في عهد بني مرين ، وكذلك الظروف المجتمعة التي كانت سائدة بالمغرب في هذا العهد وهذه الدراسة عنونت بـ " نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين " (٨) .

فقد هدفت هذه الدراسة إلى دراسة نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين ، بقصد تبيان وإبراز النظم المختلفة لهذه الدولة ، التي تعطينا صورة واضحة مميزة للهيكل الإداري لفترة امتدت ما يقرب من ثلاثة قرون .

ولقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها : حرص الدولة المرينية على عروبة المغرب بنشر اللغة العربية في ربوعه ، وفي اتخاذها اللغة الرسمية وحرصها دون غيرها في الدواوين والإدارات ، وكذلك استجابة الأمراء المرنيين لرغبة الشعب المغربي بإرجاعهم العمل بمذهب مالك دون المذهب الظاهري المنسوب للإمام ابن حزم الظاهري والذي يعمل بالأصول دون الفروع ، والاقتداء بالسلف الصالح واحترام الفقهاء والعلماء عامة وفقهاء وعلماء المذهب المالكي بصفة خاصة ، وذلك بتلبية رغباتهم والعمل بآرائهم .

وكذلك اتسمت الأنظمة الإسلامية في المغرب الإسلامي بكل أجزائه بالبساطة وحسن التطبيق فعمل أمراؤه ما وسعهم الجهد في المحافظة على الاقتصاد ، وعدم التلاعب بالسكة والصياغة خوفا من نبذبة الأمور المعيشية عند أفراد الأمة.

أولا :- السياقات المجتمعية السائدة في عهد بني مرين :

بدأ بنو مرين حياتهم السياسية بصراع طويل ومرير مع الموحدين استمر ثمانية وخمسين عاما وكان لاشتراك بني مرين مع الموحدين . في ميادين القتال في بلاد المغرب الفضل الكبير في تعرف بني مرين واطلاعهم على كثير من الخبرات في مجالات الحرب والقتال ، وامتص بنو مرين رحيق هذه الخبرات من بين صفوف الموحدين وأضافوا إليها قوتهم وخبرتهم وجلدهم ، وقد قاد بنو مرين مراحل هذا الصراع ببسالة وعزم منذ وطئت أقدامهم أرض المغرب الأقصى ، وقد مر هذا الصراع بمراحل متعددة ، استطاع بنو مرين بما لديهم من قوة ودراية بمجريات الأحداث أن يتفوقوا على الموحدين . (٩)

ومما ساعد بنو مرين على نجاحهم في بسط سلطاتهم ، أن حركتهم كـــانت حركة سياسية محضة لم تتشح بثوب الدين كما فعل الموحدون من قبلهم . فلم يتخـذ بنو مرين من الدين وسيلة لإثارة مشاعر الجماهير وتوجيههم الوجهة التي يريدونــها ، وإنما كان شعار بني مرين الذي رفعوه ولاقي كثيرا من مظاهر التأييد هو إقامـــة حكم سياسي يراعي مصلحة البلاد ، ويحافظ عليها مـــن مخـــاطر الانحرافـــات ، ويبعث في المواطنين الشعور بالأمن على أنفسهم وأموالهم.(١٠)

وبعد أن عمل سلاطين بني مرين على توطيــد الـــــدولة المرينيـــة ، وصلت البلاد إلى حالة عظيمة من النضج والازدهار الاقتصادي والتقدم الذي ظـــهر أثـــره واضحا جليا في عهد السلطان أبي الربيع سليمان المرينـــي فيحدثنـــا ابـــن خلدون بقوله " ... وكانت أيامـــه خير أيام هدنة وسكونا وترفا لأهل الدولـــة وفـــي أيامه تغالى الناس في أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير مـــن الدور بفأس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس في البناء فعالوا الصـــــروح واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش وتناغوا فـــي لبس الحرير وأكل الطيب واقتناء الحلى من الذهب والفضـــة واســـتبحر العمـــران وظهرت الزينة والترف ... "(١١).

ولقد استجاب بنو مرين لرغبة الشعب وذلك بارجاعهم العمل بمذهب الإمـــام مالك دون المذهب الظاهري المنسوب للإمام ابن حزم الظـــاهري والـــذي يعمـــل بالأصول دون الفروع ، والاقتداء بالسلف الصالح واحترام الفقهاء والعلمـــاء عامـــة وفقهاء وعلماء المذهب المالكي خاصة ، وذلك بتلبية رغباتهم والعمل بأرائهم .(١٢)

ولم يقتصر بنو مرين على ذلك فقط ، بل أطلقوا للناس الحرية الكاملة فـــي الانتماء إلى المذهب الذي يريدونه. وعلى هذا فلم يصبح السلطان المريني مصـــدرا للسلطات الدينية ، وإنما أصبح مصدرا للسلطات السياسية فقط خلافا لما كان عليـــه

الموحدون إذ كان الخليفة الموحدي مصدرا للسلطات الدينية والسياسية معا .(١٣)

وما أن جاء بنو مرين إلى المغرب حتى انطلقت الحياة الفكرية في عهدهم إلى آفـاق أرحب وأوسع ، أتاحت للعقلية المغربية مزيدا من النضوج . وقد دعم سلاطين بنـي مرين الحياة الفكرية في عهدهم بدعائم من أهمها :– (١٤)

– إن سلاطين بني مرين لم يقيموا دولتهم على أساس أفكار دينيـة ، وعلـى هـذا الأساس لم يفرضوا على العلماء في دولتهم أن يتقيدوا بوجهة نظر معينة .

– احتضن سلاطين بني مرين في مجالسهم العلماء على اختلاف مستوياتهم وآرائهم وأفكارهم بل لقد سمح بنو مرين في كثير من الأحيان بتدريـس أراء الموحديـن في مدارسهم ، احتراما منهم لحرية الفكر

– شجع سلاطين بني مرين حركة التأليف ، وأجزلوا على العلماء الهبات والعطايـا على مؤلفاتهم واختراعاتهم تشجيعا لهم على مواصلة العمل حيث كـان العلمـاء يعرضون على سلاطين بني مرين إنتاجهم العلمي والأدبي أولا بأول طمعا فـي نيل مكافآتهم .

ولقد ظهرت ملامح هذه الحركة الفكرية في مجالس سلاطين بنـي مريـن العلمية، حيث كانت هذه المجالس بمثابة ندوات علمية رفيعة ، والذي دفع سـلاطين بني مرين إلى عقد هذه المجالس شغفهم بالعلم وحبهم له ذلك الحب الذي كان سـمة غالبة على أكثر سلاطينهم فيحدثنا ابن بطوطة عن السلطان أبي عنان المريني بقوله " وأما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى بعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صـلاة الصبح ، ويحضر لذلك إعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريـم ، فيقـرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم ، وحديث المصطفي صلى الله عليه وسـلم وفـروع مذهب مالك رضى الله عنه ، وكتب المتصوفة ، وفي كل عام منـها لـه القـدح المعلى ، ويجلو مشكلاته بنور فهمه ، ويلقى نكته الرائقة من حفظة . وهـذا شـأن

الأئمة المجتهدين ، والخلفاء الراشدين ، ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم إلى هذه النهاية ، فقد رأيت ملك الهند يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة ، ورأيت ملك الجاوة يتذاكر بين يديه بعد صلاة الجمعة في الفروع على مذهب الشافعي خاصة ، وكنت أعجب من ملازمة ملك تركستان لصلاتي العشاء الآخرة والصبح في الجماعة ، حتى رأيت ملازمة مولانا أيده الله في العلوم كلها في الجماعة ولقيام رمضان .(١٥).

وظهرت أيضا في استعادة المذهب المالكي مكانته التي كان عليها قبل ظهور الموحدين الذين عملوا على مصادرة معظم كتب ومؤلفات هذا المذهب وأحرقوها . وكان سلاطين بني مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب ، وكانوا يعبرون عن حفاوتهم بهذا المذهب المالكي ، وعلمائه أحياء وأمواتا ، لأنه المذهب الأثير عند شعبهم ، فمنذ قيام دولة بني مرين وولع الشعب المغربي ومتفقيه بالمذهب المالكي ظاهر وواضح في عدد العلماء المتزايد الذين كانوا يعكفون على دراسة مؤلفات المذهب المالكي الأساسية . وبلغ من هيمنة المذهب المالكي في عهد بني مرين ، إن أحد علمائه ، بل لعله أكبر علماء مذهب مالك في وقته وهو عبدالرحمن بن عفان الجزولي ، كان يحضر مجلسه العلمي أكثر من ألف فقيه ، مالكي معظمهم يستظهر المدونة .(١٦)

وأيضا مما يدل على ازدهار الحركة الثقافية في عهد بني مرين ما شهدته العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ، والتوسع في دراستهما إلى مدى بعيد ، مع الميل إلى التبسيط والتفريع فيها ، ودليل ذلك كثرة العلماء الذين نبغوا في هذه العلوم ، ووفرة مؤلفاتهم . ومن الملفت للنظر أن هذه العلوم تأثرت بالروح الدينية التي سادت في عهد بين مرين ، تلك الروح التي تشبعت بالمذهب المالكي ، وأصبحت هذه العلوم تواكب هذا المذهب ، حيث عكف العلماء وتلاميذهم على

دراستها والتأليف فيها ، فأبو محمد عبدالله الورياغي ، وهو أحد كبار الفقهاء في عهد بني مرين ، كان يعرف المذاهب الأربعة ، ويقوم بتدريسها وترجيح مذهب مالك عليها .(١٧)

هذا ليس فقط ، بل تعدى الأمر إلى إعطاء الحرية المذهبية ، فقد بقي أفراد عديدون في هذا العهد يميلون إلى المذهب السلفي في العقائد ، وآخرون يأخذون بمذهب أهل الحديث في أحكام العبادات ، وفي بعض الأحيان كانت الدولة نفسها تناصر المذهب السلفي ، وتشجع العلماء على النظر والاجتهاد . (١٨)

وطبيعي أن تتأثر الحركة الثقافية بما ساد عهد بني مرين من شيوع الاستقرار بعد أن دان لهم حكم المغرب وقوة الاقتصاد ، حيث نجد أن سلاطين هذه الدولة عملوا على تشجيع عقد مجالس للعلم والمناظرات ، حيث إنهم كانوا يطارحون الأدباء ويحاورون الشعراء ، علاوة على تقرب العلماء من السلاطين تقربا لم يسبق له مثيل ، لدرجة أن جمهورا من هؤلاء العلماء قد ذهب ضحية هذا التقرب في أسطول أبي الحسن المريني ، فقد روى إن عدد من غرق من العلماء في أسطول هذا السلطان أربعمائة عالم . (١٩)

ومما ساعد على ازدهار الحركة الثقافية في عصر بني مرين ، ما قام به سلاطين هذه الدولة من تشجيع لها ، فقد كانوا يقدمون أجل الخدمات مما لا يقوم به إلا أجل العلماء . إذ كان الواحد منهم يكب في نشأته على الدراسة والتحصيل ولا يمنعه ما هو مأخوذ به من قيود الملك وأدوات الرياسة ، أن يدأب على النظر في فنون العلم والمعرفة ، حتى يصير من رجالها المعدودين (٢٠)

فقد كان السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور المريني من أهل العلم ، وكان أخوه الأمير أبو مالك ممن لهم اليد الطولى في الأدب ، وعارضة قوية في قرض الشعر ، وكان السلطان أبو الحسن بن أبي سعيد من كبار العلماء . ففي حياة

والده كان معدودا في أطباء الخاص ، مدة توليه الحكم أكثر من مجالسة العلماء والأدباء ، ومذاكرتهم ومحادثتهم ، وكان شديد الإلف لهم ، لا يصبر على مفارقتهم . وكذلك أخوه الأمير أبو على كان محبا للعلم ، مولعا بأهله ، منتحلا لفنونه وله بصر بالبلاغة واللسان وملكة في نظم الشعر ، وهو الذي يتنافس مع أخيه أبي الحسن على الكاتب عبدالمهمين الحضرمي في حياة والدهما ، حتى كاد يقتتلان عليه فألحقه والدهما بمعيته . وكان السلطان أبو عفان ابن أبي الحسن فقيها يناظر العلماء الجلة ، عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من علمي الحساب والعربية ، وكان حافظا للقرآن الكريم عارفا بناسخه ومنسوخه حافظا للحديث الشريف عارفا برجاله ، فصيح القلم ، حاسبا بليغا ، حسن التوقيع ، شاعرا مجيدا(٢١) .

ولقد ظهرت ملامح هذه النهضة الثقافية في ميادين كثيرة منها العلوم الشرعية والأدبية والعلوم الكونية .

فالعلوم الشرعية ، وهي تتمثل في الفقه والحديث والتفسير وتوابعها نحى فيها منحى التبسيط والتفريع . وإن كان هذا الشئ قد وجد في العهد الذي قبله ، إلا أنه في هذا العهد قد زاد الأمر زيادة ظاهرة ، وبلغ التوسع في ذلك منتهاه ، وقد يدلنا على ذلك كثرة الفقهاء الذين نبغوا في هذا العهد والتأليف العظيمة التي وضعت في فروع الفقه وكان ذلك نتيجة الضغط على رجال هذه العلوم في عهد الموحدين والتحرش بهم، وإن الضغط يعقبه الانفجار كما نعلم ، فكان هو رد الفعل الطبيعي على تلك الحركة الاستفزازية المنافية لاستقلال الناس في أذواقهم ومشاربهم ، وحريتهم في أعمالهم . (٢٢)

و إذا صح اعتبار هذا السبب هو الباعث على نشاط هذه العلوم من جديد ورواجها هذا الرواج كله فلا يصح اعتباره سبب ماطرا عليها من التضخم

والنماء، إلا من طريق غير مباشر علاوة على ذلك أن الطلبة في هذا العصر كانوا لا يستنكفون من الطلب ولو بعد بلوغ المرتبة العليا في التحصيل . فقد كانت هناك طبقة منهم لا يمكن أن يقاس بها أكابر علمائنا الآن . لا تفتر عن الطلب ، وهي بعد من كبار العلماء . فقد حكي عن الكانوني ، وكان من أئمة الفقه ، الذين لا يشق لهم غبار ، أنه كان يدرس المدونة بالقرويين ، ويأتي عليها بأبحاث وتعاليق وشروح مستجادة فكان يجلس إليه أكثر من مائة معهم ، وهم حفاظ المدونة كذلك .

ومما أدى إلى نشاط علم الفروع ، ما كان لطلبة العلم في هذا العهد من سمو المنزلة عند الخاصة والعامة ، بسبب وقوفهم مع الحق وسيرهم على الجادة ، فكان أن عظمت سلطتهم على النفوس وقوى نفوذهم في رجال الدولة . فالفتوى والقضاء، ومناصب الشرع كلها كانت مستقلة عن التدخل الحكومي أو التعرض لها من الرؤساء .(٢٣)

ولم يقتصر اهتمام بني مرين عند حد العناية بالعلوم الإسلامية فقط بل تعدى الأمر إلى مختلف العلوم الأخرى ، كاللغة، والنحو، والتاريخ ، والسير، والرحلات ، والجغرافيا ، والفلك ، والرياضيات ، والفلسفة والمنطق ، والطب .

وكان من الطبيعي لذلك نمو وازدهار الحركة الفكرية في عهد بني مرين أن تظهر المدارس في هذا العهد استجابة طبيعية ورد فعل ، حتى تحتضن هذه المدارس هذا العلم الذي نما ونضج في هذا العهد ، بحيث تعمل على رعايته وتنظيمه ، بحيث يكون له مردود في المجتمع المغربي .

ثانيا : الأصول التاريخية لظاهرة تأسيس المدارس في عهد بني مرين ..

هناك بعض المؤرخين الذين أكدوا على أن المغرب الأقصى لم يعرف بناء المدارس إلا في بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجري / أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي في عهد بني مرين .

ومن هؤلاء المؤرخين ابن مرزوق الذي يحدثنا قائلا " إن إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى أنشاء مولانا ... الملك العابد السلطان أبو الحسن على مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس .(٢٤)

ولقد أصبح تاريخ تأسيس المدارس ببلاد المغرب الأقصى مرتبطا إلى حد كبير ببني مرين والشاهد على ذلك هو بقاء معظم هياكل هذه المدارس حتى عصرنا الحاضر في حالة جيده وبعضها الآخر تصدعت أجزاؤه المعمارية ، ولكن في ظل ما تبقى من النمط المعماري القائم يستطيع الإنسان أن يلمس مخططها الأول ، وعلى هذا ربط الباحثون بين عمارة المدرسة القائمة وعهد تأسيسها ولم يلتفتوا إلى ما أنشئ منها في فترة سابقة على عهد بني مرين لأنه لم تصلنا من عهدي المرابطين والموحدين مدارس قائمة بل ولم تصلنا حتى بقايا من أنقاضها تؤكد وجود مثل هذه المدارس .

وفي حقيقة الأمر فإنه يمكن القول أن المغرب الأقصى قد عرف بناء المدارس منذ نهاية القرن الخامس الهجري أواخر القرن الحادي عشر الميلادي منذ عهد المرابطين، وهذا ما تؤكده الأدلة التاريخية التي دونت من قبل بعض المؤرخين المعاصرين لأبنية هذه المدارس ، وتؤكده أيضا كتب الطبقات من أن المدارس انتشرت في عهد المرابطين ، ومن أشهر هذه المدارس مدرسة فاس ومدرسة سبتة التي أنجبت عالما جليلا هو القاضي عياض اليحصبي .كما انتشرت هذه المدارس المرابطية في طنجة وأغمات وسلجماسة وتلمسان ومراكش .(٢٥)

وربما تكون هذه المدارس ، قد تعرضت للهدم على يد الموحدين ، إذ كان ما يدرس فيها على يد فقهاء المرابطين في نظر ابن تومرت هو خروج عن تعاليم الدين الإسلامي ، إذ أظهر فقهاء المرابطين تشددا كبيرا في معارضة تعاليم الإمام أبى حامد الغزالي الذي كان يدين له ابن تومرت بالولاء والطاعة وكان

حريصا على نشر تعاليميه وأفكاره في بلاد المغـــرب بعد عودته مــن المشــرق ولعل من أهم الأشياء التي شجعت الموحدين على محاربة المرابطيــن هــو عــدم أخذهم بتأويل القرآن الكريم ، كما تركز الجدال وكفروا كل من ظهر منـــه خـوض في علوم الكلام ، كما اهتمـــــوا بعلم الفروع على مذهب الإمام مالك وفي ذلك

يحدثنا المراكشي قائلا " لم يكن يقرب من أمير المسلمين (على بن يوسـف) ويحضر عنده إلا من علم علم الفروع ، أعنى فروع مالك .. "(٢٦).

أما الموحدون فقد أنشأوا نظامهم الإداري معتمدين على طبقة تعد من أهـــم طبقات المجتمع الموحدي آنذاك وهي طبقة الطلاب أو " مملكة الطـــلاب " ويليــهم الشيوخ . أي شيوخهم الذين أوكل إليهم أمر هؤلاء الطلاب مــــن الناحيـــة العلميـــة والفقهية .

ولقد اعتمد الموحدون على هده الطبقة اعتمادا كبيرا مند أن دعا إلى قيامـــها مؤسسها محمد بن تومرت الموحدي . الذي يكفل لهؤلاء الطلبة في حياتـــهم كافـــة أنواع الرعاية والحماية والعنــــــاية ، وكذلك اهتم

خلفاؤه بطلبة الموحـــدين اهتماما خاصا انعكس على بنائهم الكثـــير مـــن المســـايد والمدارس والمعاهد في بلاد المغرب والأندلس. (٢٧)

وتزخر كتب المؤرخين بالمعلومات التي تدل على اهتمام خلفاء الموحديـــن بطلابهم وتأسيسهم للمدارس ويدل على هدا ما قاله ابن القطان " كـــان الخليفه عبـد المؤمن بن على يستدعى الصبيان الصغار من أبناء أقاليم أشبيلية وقرطبــــــــــة وفاس وتلمسان إلى حضرته ليعلمهم ويحفظهم القرآن والأحاديث ، وأنشـــاء لـــهم مدارس يتلقون العلم فيها تعرف بمدرسة أبناء الأقاليم "(٢٨).

ولو تأملنا سياسة الموحدين تجاه التعليم لوجدنا أن الخليفة عبدالمؤمن بـــن على قد جعل نظام التعليم إجباريـــا ويسرى على كل من انضـــوى تحـت لـــواء

الدولة ووضع لهم المناهج التي تدرس وأشرف بنفسه عليها ، ويبرهن على ذلك مـا قاله أحد المؤرخين " فكان جميع الحفاظ في قصره هم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبنـاء ليلة واحدة " (٢٩).

ولم يكن تأسيس المدارس مقتصرا فـي عـهد الموحديـن علـى الخلفـاء الموحدين، بل تعدى الأمر إلى أن أصبحت هناك محاولات جادة من قبل العامة فـي هذا العهد وتتضح هذه المحاولات في المدرسة التي أنشأها أبـو الحسـن الشـاري الغافقي والذي أراد أن يجعلها على غرار مدارس الشرق ، ولكن عاقه عـن ذلـك قواطع الفتن. (٣٠)

ولكن هذه المدارس لم تدم طـويلا في المغـرب ، تعرضـت للاندثـار، ولعل ذلك يرجع إلى العديد من الأسباب منها (٣١).

- استقبلت مدارس الموحدين نوعية خاصة من الطلاب . فهي لم تكن مدارس عامـة وإنما كانت مدارس لإعـداد كـوادر خاصة جديدة من طبقة الطلاب الذيـن يقع على كاهلهم عبء نشر الدعوة الموحدية بعد ذلك ، بينما خصصت المسـاجد العامة للتعليم العادي لأبناء المغرب .
- ظهور نوع من المـدارس المتخصصة لتخريج طبقة مـن الموظفيـن لخدمـة أغراض الدولة السياسية .
- ارتبطت مناهج التعليـم ارتباطا وثيقا بالأيد يولوجية الموحدية المتمثلـة فـي الكتب التي وضعها ابن تومـرت ، مثـل كتاب التوحيد والمرشدة والجفـر ، وهذه الكتب تمثل المناهج التي حرض بنو مرين على محاربتها بشتى الوسـائل والعودة إلى الاجتهاد والسنة مرة أخرى .

ومما سبق يتضح أن المدارس في عهـد الموحـدين ومناهجها وطلابـها ارتبطت بالناحية التعليمية الإسلامية عموما . لذا كان من الطبيعي أن يتقلـص دور

هذه المدارس وتزول مع زوال كيان الدولة الموحدية .

رابعا : – المدارس في عهد بني مرين :

تعتبر المدارس في عهد بني مرين من أعظم مؤسسات التعليم في المغـــرب حيث حفلت مدن المغرب الأقصى في عهد بني مرين بالمدارس ،وخاصــــة مدينـــة فاس عاصمة ملكهم ودار حكمهم في ذلك الوقت

وقد تأسست هذه المدارس لنشر العلم وإيواء الطلاب وذلك على غرار مـــا بني من مدارس في المشرق الإسلامي (٣٢)

وجدير بالذكر أن معظم مدارس المغرب الأقصى في عهد بني مريـــن قـــد شيدت في بداية القرن الثامن الهجري / أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، وهـــي فترة اتسمت من الناحية السياسية بالاستقرار الداخلي والرخاء الاقتصادي .
وفيما يلي نماذج من هذه المدارس التي أنشئت في عهد بني مرين وهي كما يلي :–

١ – المدرسة اليعقوبية (٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م) .

وتعرف بمدرسة الصفارين أو النحاسين ،وتعرف كذلك بمدرسة الحلفائيين ، وكان مؤسسها هو يعقوب المريني سنة ٦٥٧ هـــ ، وهي أول من بني مدارس بنـــي مرين، وقيل كان اسمها أول الأمر المدرسة ، ثم قام بتجـــهيزها بخزانـــة كتـــب ، وللمدرسة منار يتجه بدقة إلى القبلة ، وكانت تودي فيها الصلوات الخمس ولكن لـــم تكن تعطى فيها دروس (٣٣) .

وتتكون المدرسة من صحن أوسط مكشوف مستطيل ، يتقدمه مـــن الجهـــة الجنوبية إيوان القبله ويقابله من جهاته الثلاث الأخرى الشرقية والغربية والشـــمالية خلاوى الطلبة ويتوسط الصحن حوض رخامي مربع الشكل (٣٤) .

٢ - مدرسة فاس الجديدة :

تعرف مدرسة فاس بمدرسة المدينة البيضـــــاء لبنائها فـــي مدينــة فــاس الجديدة التي شيدت على يد بني مرين ، وقد شيدت هذه المدرسة فـــى عـــهد أمـــير المؤمنين أبى سعيد بن يوسف بن يعقوب المريني عـــام (٧٢١ هــــ / ١٣٢٠ م) وهي تعد أول مدرسة أنشئت في مدينة فاس الجديدة [٣٥] .

وتتكون المدرسة من صحن على هيئــة مستطيل يتقدمه من الجهة الجنوبيـة إيوان القبلة ومن الجهة الشمالية كتــــلة الدخول ويمتد علـــى جانبيــه الشــرقي والغربي حجرات الخلاوي للطلاب[٣٦] .

٣ - مدرسة الصهريج :

شيدت هذه المدرسة فى عهد أمير المؤمنين أبى الحسن على المرينــي فــي سنة ٧٢٣ هـ وقت أن كان وليا للعهد [٣٧] .

وتتكون عمارة المدرسة من صحن أوسط مكشــوف يتقدمــه مــن الجهــة الجنوبية ايوان القبله ومن جانبه الشمالي والغربي خلف مساكن الطلاب ، أما الضلع الشمالي فيشتمل على كتلة الدخول ، ويكتنف المدرسة من الخارج من الجهة الغربية دار الوضوء يتقدمها سقاية [٣٨].

٤ - مدرسة السبعين (٧٢٣ هـ / ١٣٢٢ م) :

وتعرف بالمدرسة الصغرى أو مدرسة القراءات السبع وهي تقـــع بمدينـة فاس القديمة بجوار مسجد الأندلسية وفي الجهة الشرقية من مدرسة الصهريج ، وقد شيد هذه المدرسة السلطان أبو الحسن بن أبى سعيد المريني أيام كان وليـــا للعـــهد (٧٢٣ هـ / ١٣٢١ م) [٣٩] .

ويبدو أن المدرسة كانت متخصصة من الناحية التعليمية في القراءات كمـــا يبدو من اسمها وكانت تعقد حلقات الدرس بجامع الأندلسية، وعلـــى ذلــك تكــون المدرسة قد تم تخطيطها على وجود كتل الخلاوي للطـــلاب المتخصصيــن لتلــك

الدراسة ، وعلى هذا تعد مدرسة السبعين هي أول مدرسة متخصصة في عهد بني مرين [٤٠].

٥ – المدرسة العظمى بفاس القديمة (العطارين) ٧٢٣ هـ / ١٣٢٤ م .

تقع هذه المدرسة بمدينة فاس القديمة بجوار جامع القرويين ، وكانت تعرف منذ إنشائها بمدرسة العطارين ، وقد شيدها السلطان أبو سعيد بن يعقوب بن عبدالحق المريني في ٧٢٣ هـ / ١٣٢٤ م[٤١].

ويتكون التخطيط المعماري لهذه المدرسة من صحن مكشوف يتقدمه من الجهة الجنوبية إيوان القبلة ويكتنفه من الجانبين بائكتان تحملان كتل الخلاوي وللمدرسة كتلة دخول واحدة تقع في الجهة الشمالية ، ويكتنف المدرسة من الركن الشمالي الشرقي الميضأة ، ولم تحتو المدرسة عند بنائها على صومعة شأنها في ذلك شأن المدرسة المصباحية [٤٢].

٦ – مدرسة سلا ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م :

تقع مدرسة سلا قبلى المسجد الكبير بطالعة سلا ، وقد أمر ببنائها السلطان المريني أبو الحسن بن سعيد بن يوسف بن يعقوب المريني ، في عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢ م [٤٣].

وتتكون مدرسة سلا من مساحة مستطيلة الشكل زودت بمدخل بارز في الركن الشمالي من الجهة الغربية ومن الداخل تتكون من صحن يتقدمه إيوان الصلاة (قاعة الدرس) وعلى جانبي الصحن توجد وحدات الخلاوي التي جاءت مركبة من طابقين [٤٤].

٧ – المدرسة العظمى بمراكش ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م :

تقع هذه المدرسة بجوار جامع ابن يوسف بمدينة مراكش وقد شيدها السلطان أبو الحسن بن سعيد المريني في عام ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م [٤٥].

وتتكون هذه المدرسة من صحن أوسط مكشوف سماوي يحفه من الجـــانب الجنوبي إيوان القبله ومن جوانبه الثلاثة الشرقية والغربية والشمالية ثـــلاث ظـــلات تحمل جميعها حجرات الخلاوي (٤٦).

٨ – مدرسة مكناس ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م :

وتعرف بمدرسة القاضي وبالمدرســـة الفيلاليـــة أو المدرســـة البوعنانيـــة وتقع هذه المدرسة بمدينة مكناس بجوار الجامع الأعظم من الجهة الشـــرقية ، وقـــد شيدها السلطان أبو الحسن بن أبي سعيد بن عبدالحق المريني في سنة ٧٤٧ هـــ / ١٣٤٦ م (٤٧).

وتتكون هذه المدرسة من صحن أوسط مكشوف يتقدمه من الجهة الجنوبيـــة إيوان القبله ومن جهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية كتل الخلاوي (٤٨).

٩ – المدرسة المصباحية ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م :

تقع هذه المدرسة المصباحية بمدينة فاس القديمة بجوار جـــامع القروييـــن ، وكانت تعرف عند إنشائها الرخام (٤٩). وقد شيدت هذه المدرسة على يد الســـلطان أبى الحسن بن السلطان أبى سعيد عثمان بن يوسف بن يعقوب بن عبدالحق المريني في عام ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م (٥٠)، وتعرف هذه المدرسة عند العامـــة مـــن أهـــل المغرب بالمدرسة المصباحية نسبة إلى شيخها أبى الضياء مصبـــاح بـــن عبـــدالله الياصلوتي الفقيه المشهور حينذاك والذي يعد أول من قام بالتدريس في المدرسة (٥١).

وتعتبر هذه المدرسة من المدارس الكبيرة من حيث عـــدد طلابـــها إذ بلـــغ عددهم آنذاك ١٢٠ طالبا(٥٢).

١٠ – المدرسة المتوكلة : ٧٥١ – ٧٥٦ هـ (١٣٤٩ – ١٣٥٥ م) :

وتعرف هذه المدرسة بالبوعنانية نسبة إلى مؤسسها السلطان أبى عنان فـــارس

بن أبى الحسن المريني ، وتقع هذه المدرسة بمدينة فاس القديمة على مقربة من جامع القرويين (٥٣).

وتعتبر هذه المدرسة قمة الفن المعماري المريني . إذ إن الآثار المعمارية المرينية ، كانت لا تزال تحت تأثير الفن الموحدي ، الذي يمتاز بالبساطة ، والبعد عن كثرة الزخارف ، مسايرة لمبادئهم الدينية .

فبناء هذه المدرسة يؤكد أن بني مرين أدخلوا على الفن الموحدي التنسيق والتزويق (٥٤) .

خامسا : أسباب تأسيس المدارس في عهد بني مرين :

لم يأت تأسيس المدارس في عهد بني مرين من الفراغ المطلق أو من مجرد تقليد عفوى مرتجل للمؤسسات الشرقية النائية وإنما كان الباعث على تأسيس المدارس في عهد بني مرين هو الفراغ الكبير الذي خلفه سقوط المدن العلمية الأندلسية في قرطبة وأشبيلية وما أحدثه ذلك على الثقافة المغربية حيث ولى المغاربة وجههم شطر المشرق الإسلامي مستعيضين بذلك عما فقدوه في قرطبة وأشبيلية (٥٥) .

وأيضا من الأسباب التي أدت إلى نشأة المدارس اقتحام جميع المنافذ على مذهب الموحدين للقضاء عليه ، وقد نجحت هذه السياسة بفضل ما كان لدى الناس من ارتباط شديد بالمذهب المالكي ، فما لبث معظمهم أن ترك مذهب الموحدين وعاد في هدوء إلى مذهب الإمام مالك ، الذي كان يلقى رواجا كبيرا في بلاد المغرب الأقصى ، ومما يعزز ذلك أن بني مرين أقاموا مدارسهم على أساس أن الطالب يتعلم ويقيم بالمدرسة ، وذلك ليتيحوا تكوين جيل جديد من الطلبة ليسوا من أهل المدن فحسب ، وإنما من بين أهل البوادي والأرياف ، فانتشر التعليم بفضل هذه السياسة على نحو كبير (٥٦) .

ولما كانت دولة بني مرين هي التي عملت على سقوط الموحدين بالمغرب لذلك عملت على أزالة ما تبقى من آثار الموحدين واستطاعت أن تتصدى بكل حزم لمحو الفكر الموحدي والذي بنى على اعتناق فكرة الإمام المعصوم ، وهي أفكار قائمة على التشيع ، فقام بنو مرين بنقل عاصمة ملكهم من مراكش إلى فس التي جعلوها أكبر عاصمة علمية شهدها المغرب الأقصى . إذ شيدوا فيها من المدارس في فترة قليلة

ما يقرب من خمس عشرة مدرسة ونجحوا في التصدي للأفكار الموحدية بنشرهم لمذهب الإمام مالك السني وكانوا من أكبر حمايته . وقد تبارى أمراؤهم في تشييد المدارس في جميع أنحاء المغرب الأقصى لتثبيت دعائم المذهب الجديد (٥٧) .

سادسا :- إسهامات سلاطين بني مرين في تمويل التعليم بهذه المدارس :

لقد كان التحبيس المصدر الوحيد لتمويل هذه المدارس حتى تستطيع تأدية دورها التعليمي على طوال التاريخ ، حيث إن نظام التحبيس قد أدى دورا هاما في الحياة الثقافية في المغرب وعلى وجه الخصوص مراكش . مصداق ذلك ما تزخر به كتب النوازن من أحكام وتمثل الأحباس جانبا تطوعيا لم يقتصر على الدولة فحسب ، بل ساهم فيه الأفراد أنفسهم ، وأهميته تكمن في الحفاظ على المؤسسة الثقافية من حيث إعادة بناء ما تهدم أو ترميمه وإصلاحه . كما كان التحبيس له دور في استمرار هذه المدارس وأداء وظيفتها التي اضطلعت برسالتها .

وتنحصر نوعية الأملاك الموقوفة على المدارس في المغرب الأقصى في المباني التجارية والمطاحن والأفران والحمامات ومعاصر الزيت ومعمل النسيج والفنادق والأراضي الزراعية . وكان يصرف من أموالها على ما رتب في مدارسها من وظائف أو على إصلاح عمارتها .

فقد عمل سلاطين بني مرين حفاظا منهم على هذه المدارس في تأدية دورها التعليمي على إيقاف الأحباس فتزخر لوحات الأحباس المثبتة على واجهات

تلك المدارس من الداخل على قائمة كبيرة بأسماء تلك المنشآت وكذلك ما تضمنته نصوص الأحباس على إقرار من الموقف بترتيب مدارسه من الناحية الإدارية والوظيفية، حيث رتب فيها الطلاب والموقت والقيم والبوابين والمؤذنين والأئمة والحضار والشهود والخدم وكذلك حبس عليها نفائس الكتب والمصنفات المعينة..

فأول سلطان من سلاطين بني مرين تحدثنا المصادر عن اهتمامه بإنشاء المدارس هو أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمؤيد والقائم والمنصور ((٦٥٦ — ٦٨٤ هـ)) حيث قال المصري "وبنى المدارس لطلبة العلم وأوقف عليها الأوقاف، وأجرى عليها المرتبات"(٥٩)..

وكذلك أول من اقتفى أثر يعقوب بن عبد الحق في بناء المدارس ووقف الأوقاف عليها من سلاطين بني مرين ابنه السلطان أبو سعيد بن عثمان بن يعقوب، الذي بنى مدرسة المدينة البيضاء بفاس، وفي سنة ٧٢٣ هـ، أمر ببناء المدرسة العظمى بإزاء جامع القرويين بفاس، وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه في جماعة من الفقهاء وأهل الخير حتى أسست وشرع في بنائها. فجاءت هذه المدرسة على حد قول بعض المؤرخين الذي يحدثنا قائلا: "من أعجب مصانع الدول .... لم يبن ملك قبله مثلها، وأجرى فيها الماء من بعض العيون في المنطقة، ورتب فيها الطلبة .... وأجرى على جميع هؤلاء المرتبات والمؤن الكافية بل الزائدة على الكفاية، ولأجل ذلك اشترى عدة أملاك ووقفها عليها"(٦٠)..

وكذلك أربى السلطان أبو الحسن بن أبي سعيد المريني ((٧٣٢ — ٧٤٩ هـ)) على كل من جاء قبله وبعده في تأسيس المدارس، وقد أظهر اهتمامه ببناء المدارس ووقف الأوقاف عليها قبل توليه الخلافة .. إذ يحدثنا ابن أبي زرع قائلا: "أنه في سنة ٧٢١ هـ، وهو بعد ولي العهد ببناء مدرسة في فاس، فقال: "فجاءت على أكمل الهيئات وأحسنها، بنى حولها سقاية ودارا للوضوء وفندقا لسكنى الطلبة، وجلب إليها الماء .... ووقف عليها رباعا كثيرة"(٦١)..

ولم يقتصر أثر الأحباس على التعليم على أنها المـورد المـالي للمؤسسـة التعليمية المتمثلة في المدرسة ، بل تعدى الأمر ذلك إلـى كافـة جوانـب العمليـة التعليمية داخل هـذه المدارس حتى إنه يمكن القول أن وثيقة الأحباس كانت بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليميـة التي تضم الأسس التربوية للتعليم ، والشـروط الواجـب توافرهـا فـي القـائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة وما إلى ذلك من التنظيمات الإدارية والمالية ، وهذا مـا يظهر واضحا جليا في ممارسات سلاطين بني مرين عندما أوقفوا الأحباس على هذه المدارس ، فعلى سبيل المثال ما فعله السلطان أبـو سـعيد بـن يعقوب بن عبدالحق في سنة ٧٢٣ هـ ، ١٣٢٤ م ، عندما أسس المدرسة العظمـي بفاس القديمة (العطارين) أوقف عليها الأحباس ، وقد صرح في لوح الحبوس أنـه كلف العريف عبدالله بن قاسم المزوار بالإشراف على بناء مدرسته ومد إليها المـاء من عين غزيرة خاصة بها حتى لا تنقطع عنها المياه ، كما رتب فيها بعد إتمامـها الفقهاء لتدريس العلم وأسكنها بالطلاب ، وكذلك عين فيها مجموعة وظائف مختلفـة لخدمة أغراض المدرسة مؤذنين وإماما وخدما (٦٢).

وكذلك نصحت وثائق الأحباس الطلاب بما ينصح به أقرانهم فـي العصـر الحاضر كالمواظبة وعدم الحديث خلال إلقاء الدروس ، وهذا ما يظهر واضحا جليـا في قول أبو محمد عبدالله بن محمد بن موسى العبدوسي ، خطيب القرويين ، هـذا التنظيم بتفصيل أكبر بقوله :" إنما يسكن المدرسة من بلغ عشرين سنة فما فوقـها ، وأخذ في قراءة العلم ودرسه بقدر وسعه ، ويحضر قراءة الحزب صباحا ومغربـا ، ويحضر مجلس مقرئها ملازما لذلك إلا لضرورة من مرض وشبهه مـن الأعـذار لتخلفه ، فإذا سكن فيها عشرة أعوام ولم تظهر نجابته أخرج منها جبرا لأنه يعطـل الحبس ... وكذلك لا يجوز أن يعير بيتا تحت يده بالمدرسة ، فإنه لم يجعل لـه إلا

السكني به خاصة... وكذلك لا يجوز لمن ينقطع للعبادة ويترك دراسة العلم سكني المدرسة لأنها لم تحبس لذلك وإنما حبست لمن يتعبد بقراءة العلم ، مع عبادة لا تشغله عن القيام بما قصده المحبس من العكوف على دراسة العلم وشبهها من حضور مجالس العلم »(٦٣) .

وهذا نص صريح يدلنا على أن نظام المدرسة يقضي بالمواظبة على الحضور ، إلا لعذر مانع – وأن عدم الاستعداد الطبيعي للعلم يقضي على الطالب بمغادرتها ، وأن الطالب لا يحق له التصرف بالمسكن الذي منحه ، وإن الغاية الكبرى للمدرسة هي التعلم ، ولذلك فإنها لا تؤوي من كان يهدف إلى غاية غير مقترنة بطلب العلم ، ولو كانت للانقطاع للعبادة ، وعلى الطالب التفرغ للعلم ومن أجل ذلك التفرغ يستحق جراية من الوقف ، فإذا اشتغل بصناعة تدر عليه رزقا قطعت عنه الجراية ، لأنه لا يأخذ من الوقف إلا من جاد فهمه وحسن إدراكه وطالب سجيته وتجرد لأن ينتفع وينفع .

وكذلك نصت وثيقة الأحباس أيضا على مرتبات الأساتذة داخل هذه المدارس ، فلا شك أن كل شئ في مجال المرتبات كان يعتمد على شرط الواقف ، إذ له وحده الحق في أن يخصص أو يعمم ، وله أن يجعل الوقف للإنفاق على رتبة الأستاذ فقط ، أو على المقرى (مقرى العلم) أو على قاري الحديث أو على كليهما، أو على الطلبة الغرباء دون غيرهم ، أو اشترط ألا يسكن في بيوت المدرسة إلا اتباع مذهب معين (٦٤) .

ولقد حرص الواقفون في عهد بني مرين على أن يلحقوا بكل مدرسة خزانة كتب يرجع إليها المدرسون والطلاب ولا سيما الفقراء منهم ، وهذا يدل على حرصهم على تدعيم هذه المدارس حتى يتأتي لها تأدية دورها التربوي على الوجه الأكمل في نشر العلم بين ربوع المغرب الأقصى . فأول سلاطين بني مرين يعقوب

بن عبدالحق ، زود المدرسة التي أنشأها لمعروفة باسم مدرسة الصفارين ، بمجموعة فريدة من الكتب ، ذكر بعض المؤرخين أنها تألفت من ثلاثة عشر حملا، وهذه الكتب هي التي طلبها السلطان يعقوب بن عبدالحق من شانجة (سانشو) ملك قشتالة أن يرسلها إلى المغرب بعد أن تم توقيع الصلح بينهما في أثناء عبوره الرابع إلى بلاد الأندلس سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م .وكانت هذه الكتب نواة للمكتبة السلطانية بفاس (٦٥) .

وقد ذكر أن هذه الكتب ضمت " جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفاسيره كابن عطية والثعلبي ومن كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغير ذلك " (٦٦) .

سابعا : النظام التعليمي في عهد بني مرين :

وضعت لوائح تنظم قبول الطلاب بالمدارس في عهد بني مرين و وضعت مناهج تعليمية كمقررات في تلك المدارس إلى جانب الوظائف التي قررها كل واقف على مدرسته . وكذلك تحديد أوجه الصرف عليها من خلال تحبيس الواقف لمجموعة منشآت تجارية يصرف من إيرادها على عمارة المدارس وموظفيها .

وتبدأ قواعد النظام التعليمي كما يلي :-

أولا : نظام قبول الطلاب :

– وضعت لوائح تنظم قبول الطلاب بالمدارس في عهد بني مرين ، فقد خضع سكن الطلبة بهذه المدارس إلى قوانين يشرف عليها متخصصون في ذلك ، بحيث لا يقبل بالمدرسة طالبا أقل من عشرين عاما (٦٧) . وكذلك يلزم على الطلاب المتقدمين للالتحاق بالمدرسة أن يكون قد سبق لهم أن درسوا العلوم الفقهية (٦٨) . وكذلك حددت مدة إقامة الطلاب بالمدارس فيذكر الوزان أن كل طالب بالمدرسة

كان يزود بالمؤن والثياب لمدة سبع سنين (٦٩) . ولا يجوز للطـــالب أن يمكــث بالمدرسة وهو متمتع بالسكن والتعليم بالمجان أكــثر مــن عشــر ســنين ، وقــد خصصت لكل طالب غرفة صغيرة مجهزة بمسرجة وحصيرة ووسادة وخزانـــة ، وكانت جدران الغرفة خالية من الزخارف وفي بعض المدارس كــان يقيــم كــل طالبين أو ثلاثة في غرفة واحدة ، وهو ما نجده في المدارس الكبيرة مثل المدرسة المصباحية ومدرسة أبي عنان ومدرسة العطارين إذ كانت الأخيرة تأوي أكثر مــن ١٣٠ طالبا (٧٠) .

وكانت مدارس فاس تجمع بين طلاب مدينة فاس وبين الطـــلاب الغربــاء الذين يفدون على المدرسة من المدن المغربية البعيدة أو من بلاد خــارج المغــرب مثل تلمسان ، وكان لهؤلاء الطلاب الحق في الإقامة بهذه المدارس ، أمــا طــلاب فاس فلم يكن لهم حق المبيت في المدرسة . وقد وفر بنو مرين لطــلاب مدارســهم كل السبل التي تعينهم على معيشتهم فخصوهم بالمنح والهدايا والكساء ، كما وفــروا لهم الطعام ، الأمر الذي انعكس بدوره على نفسية الطــلاب ، فــأصبحت حياتــهم شبيهة بحياة النساك المنقطعين للعبادة (٧١) .

وكانت تنتظر هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم فرص عمل وفرتها لهم الدولة إبــان تخرجهم مباشرة وبخاصة طلاب فاس الذين كانوا يدخلون فــي خدمــة الدولــة أو ينضمون إلى جماعة المدرسين بالمدرسة أو يعملون موثقين أو قضاه شرعيين .

ثانيا :المناهج وطرق التدريس :

تعد المدارس في عهد بني مرين ، معاهد تدرس فيها علوم الفقـــه والنحــو والقراءات وذلك على عكس المساجد التي كانت تــدرس فيــها العلــوم الشــرعية والإنسانية (٧٢) .

وكان يقوم بالتدريس في هذه المدارس فقهاء بعضهم متخصص فــي دروس

الفقه وبعضهم متخصص في دروس النحو وآخرون في القراءات ، وكانت تختار الموضوعات التي تدرس للطلبة من كتب المؤلفين القدامى وخاصة التي صنفت على مذهب الإمام مالك وهو المذهب الذي ينتمي إليه معظم علماء فاس (٧٣) .

لأنه منذ قيام دولة بني مرين وولع الشعب المريني ومتقفيه بالمذهب المالكي واضح وظاهر في عدد العلماء المتزايد الذين كانوا يعكفون على دراسة مؤلفات المذهب المالكي الأساسية ، وبلغ من هيمنة المذهب المالكي في العهد المريني ، أن أحد علمائه ، بل لعله أكبر علمائه في وقته ، وهو عبدالرحمن الجزولي ، كان يحضر مجلسه العلمي أكثر من ألف فقيه ، مالكي معظمهم يستظهر المدونة ، هذا إلى جانب العديد من علماء المذهب المالكي الآخرين الذين قاموا بتدريس المذهب المالكي في المدارس المرنيية ، حيث كان هذا المذهب محورا لنظام التعليم في بني مرين . ومن أمثال هؤلاء العلماء ، أبو محمد القشتالي ، المدرس بمدرسة الحلفائيين ، والذي كان يدرس فيها مختصر المدونة للبراذعى ، ومصباح اليالصوتي الذي تنسب إليه المدرسة المصباحية لأنه أول من درس بها المذهب المالكي (٧٤) .

ومنهم أيضا ابراهيم التسولي تلميذ أبي الحسن الصغير ، جلس لتدريس مذهب مالك بمدرسة عدوة الأندلس ، وكان مجلسه وقفا على تدريس كتاب التهذيب والرسالة ، واحمد القباب الذي اشتغل بتدريس مختصر السبراذعي بالمدرسة في المدينة البيضاء وبقراءة كتاب الموطأ بالجامع الأعظم من مدينة فاس فظهر علمه وحفظه ومعرفته (٧٥) .

ولقد حدثنا ابن مريم التلمساني عن المناهج التي كانت تدرس في هذه المدارس قائلا "إنه كان يدرس بهذه المدارس التفسير والحديث والفقه والأصول في فصل الشتاء والعربية والبيان والحساب

والفرائض والهندسة في فصل الصيف ، وإن يومي الخميس والجمعة كانـــا مخصصين لـــدرس التصوف (٧٦) .

وهذا النص ملفت للنظر من غير ناحية ، فإفراد التصوف بالدراسة يوميـــن في الأسبوع يدل على مدى تأثير التصوف في البيئة المغربية في عهد بني مريـــن ، حيث كان له دور في الحركة الفكرية حيث إمتاز عهد بني مرين بظهور عدد كبـير من أقطاب التصوف وأساتذته ، ولم يكن سلاطين بني مرين يشعرون بأي خطر من امتداد ونفوذ الصوفية ، لأن الدولة كانت مهيبة الجانب ، ولأن بني مرين من ناحيـة أخرى انصرفوا إلى استكمال بناء صرح الحضارة المغربية . وتطلب ذلـك مزيـدا من حرية الفكر ، التي أتاحها بنو مرين للجميع وفي ظلها ازدهر التصـوف . فقـد كان معظم سلاطين بني مرين قريبين من كبار أقطاب التصوف أحيـاء وأمواتـا . فالسلطان أبو الحسن المريني هو الذي بني مسجد العباد بالقرب مـن قـبر قطـب التصوف أبى مدين شعيب (٧٧) .

كذلك مما يلفت النظر وجود مادة الهندسة في برنامج المدرســة الدراسـي فضلا عن المنطق والحساب ، الأمر الذي يدل على حدوث شئ من التساهل لــدى القيمين على المدارس تجاه بعض العلوم العقلية ، وهذا أمر قد استجد على المغـرب الأقصى في هذا العهد بعد زوال حكم الموحدين ، ولعل مما يؤكــد هـذا أن أحـد المدرسين بمـــدرسة العطارين بفاس واسمه أحمد بن البناء الأزدي المراكشـــي ، كان متمكنا لامن علوم الشريعة وحدها ولكن من العلوم القديمة أيضا فكان الطــلاب يقرأون عليه (٧٨) .

ولكن مما يلفت النظر أن المناهج التعليمية التي كـانت سـائدة فـي هـذه المدارس في عهد بني مرين ، كانت موضع نقد بعض العلماء الذيـــن عاصروهـا وذلك لأنها كان يغلب عليها صفة المختصرات التي كادت أن تضر بالعلم ، وبالتالي

فإن كبار علماء الفقه في هذه الدولة ، كانوا يعيبون طريقة المختصرات التي حرص علي وضعها بعض العلماء والفقهاء وبخاصة في ميدان الفقه ، وقد عارضها هؤلاء العلماء معارضة قوية ، وكان القباب يرى أن ابن شاس ، وابن الحاجب ، أفسدوا الفقه بما ألفوه من مختصرات في هذا العلم ، وقد عبر عن هذا القباب حين لقى ابن عرفة في تونس وعرض ابن عرفة عليه مختصره الفقهي . فقال له القباب " تأليفك هذا لا نفع به للمبتدئ لصعوبته ولا يحتاج إليه الشهير"(٧٩) .

وهذا " المقري " يواصل نقده للمناهج التعليمية بالمدارس في عهد بني مرين فيحدثنا قائلا " ... ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها ،فصارت الفتاوي تنقل من كتب من لا يدرى ما زيد فيها مما نقص منها ، لعدم تصحيحها ،وقلة الكشف عنها ... " فصار يؤخذ من كتب المسخوطين ، كما يؤخذ من كتب المرضيين ، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ، ثم كل أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار ، فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه ، ونزر حظه ، وأفنوا أعمارهم في فهم رموزه وحل لغوزه ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح ، بل هو حل مقفل ، وفهم أمر مجمل ، ومطالعة تقييدات زعموا أنها تستنهض النفوس ... "(٨٠) .

وهذا أيضا ما جعل ابن خلدون يعقد فصلا كاملا في كتابه عن " إن كثرة المختصرات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم " فيحدثنا قائلا : " ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة ... وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطا على المبتديء بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها

بعد وهو من سوء التعليم ، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة ..."(٨١).

أما عن طرق التدريس التي كانت سائدة في هذه المدارس ، فيبدو عليها أنها لم تقتصر على طريقة واحدة ، فكانت هناك طريقة القراءة على الأستاذ ، بحيث يقوم الأستاذ بتكليف أحد طلابه بقراءة الدرس المطلوب دراسته ثم يقوم الأستاذ بالتعليق عليه ، شارحا كل غامض منه على الطلاب (٨٢).

وكانت طريقة الحوار والمناظرة في هذه المدارس لها الغلبة ، وهذا يتبين من خلال أن أبا عنان المريني حاول أن يتلافي عند اختياره لفقهاء مدرسته من لم يستطع منهم المناظرة والمحاورة فأرسل إلى فقيه مدرسته الشيخ الصرصري من يحاوره في مسألة علمية ، ولكن الشيخ فشل في الرد على سائله واعتزل الدرس بالمدرسة البوعنانية ولكن السلطان أبا عنان أرسل إليه وقال له (أنا أمرت بذلك كي نعلم ما عندك من العلم وما عند الناس وتعلم أن دار الغرب هي كعبة كل قاصد (٨٣).

وهذا يوضح مدى حرص السلطان أبى عنان على توجيه فقهاء مدرسته وتدريبهم على المناظرة ، وهذا إن دل فإنما يدل على خبرة سلاطين بني مرين بنوعية طرق التدريس ذات الجدوى والفاعلية في الدرس والتحصيل . وذلك لأن المغاربة كانوا قبل عهد بني مرين غير متمكنين من أسلوب المحاورة والمناظرة في التدريس ، وهذا ما جعلهم محل نقد عند ابن خلدون الذي يحدثنا قائلا " وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم ... ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها

فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة ...[٨٤]. وربما يرجع سبب شيوع طريقة المحاورة والمناظرة في عهد بني مرين إلا أن طلاب هذه المدارس قد يشترط عليهم ألا يقل عمرهم عن عشرين عاما ، وهذا ما يجعلهم قادرين على أن يشتركوا مع شيوخهم في مناقشة المسائل العلمية .

ثالثا : الوظائف الإدارية في هذه المدارس :

لقد حفلت النصوص التاريخية بذكر أنواع الوظائف التي كان قد قررها أصحابها على مدارسهم بتعيين عدد من الموظفين في مجموعة الوظائف التي كانت تحتاجها المدارس من فقهاء يقومون بالتدريس ومعاونين وإمام ومؤذنين وخدمة ... الخ . وهذا يدل على فطنة مؤسسو هذه المدارس بأهمية هذه الوظائف التي لم تكن ثانوية وإنما هي صلب المدرسة ، وذلك لأنها تعمل على أن تؤدي المدرسة دورها التربوي ، فهي وظائف لا غنى للمدرسة عنها .

وعلى هذا يحدثنا ابن أبي زرع عن هذه الوظائف التي كانت مرتبة في مدرسة فاس الجديدة والعطارين والصهريج قائلا : " ورتب فيها (أي السلطان) الفقهاء لتدريس العلم وأسكنها بالطلبة ، وقدم فيها إماما ومؤذنين وخدما يقومون بأمرها ، وأجرى عل كل منهم المرتبات " [٨٥] .

وأيضا يحدثنا ابن مرزوق قائلا : " وأجرى (يقصد السلطان أبا الحسن) المرتبات على الطلبة والعونة والقيم والبواب والمؤذن والإمام والناظر والشهود والخدام ويوفر من ذلك ، وهذا يرشدك إلى قدر ما يحتاج إليه في كل مدرسة من هذه المدارس " [٨٦] .

فإمام المدرسة من حيث المبدأ يقيم الصلوات جميعا في مسجدها ، غير أن

هذا ليس شرطا ضروريا له ، بل الأمر في ذلك على ما جرت عليه العادة في المكان . وقد كان الإمام في كل من مدرسة الحلفاويين ومدرسة الخصة لا يؤم إلا الظهر والعصر ، وعد أحد الفقهاء ذلك أمرا مشروعا لجريان العادة بذلك ولأن الأحباس تقر على ما وجدت عليه (٨٧) .

وأما القيم في هذه المدارس فيقوم بحفظ الحصر والقناديل ويعتني بنظافة المدرسة وتأمين الفرش والوقود فيها (٨٨) ، ويشترك مع القيم في بعض الأعمال البواب ، إلى جانب سهره على أبواب المدرسة وفتحها وغلقها (٨٩) ، ومن المتصور أن البواب هو الذي كان يأذن لمن ليسوا من سكان المدرسة بالدخول إليها، إذا كان الدخول ممكنا لبعضهم عرفا بعد الاستئذان (٩٠) .

أما المدرس فهو الفقيه المسئول عن تدريس العلوم الفقهية وما يتصل بها من علم الأصول وعلم التفسير (٩١) .

وأما الأستاذ فتدل على النحوى أو اللغوي الذي يقوم بتدريس علوم اللسان للطلاب(٩٢) .

ومهما يكن الأمر ، فإن مكانة المدرسين والأساتذة لم تكن متساوية فيما بينهم بل كان هناك للفرع الواحد من العلوم " رئيس " يحتل مركز الصدارة بين المدرسين في المدرسة وذلك أمر يوضحه ابن مريم التلمساني إذ قال إن الفقيه محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني " عرضت عليه رئاسة الفقه بمدرسة العطارين "(٩٣) . ولعل احتلال هذا المنصب – الذي يساوي في عصرنا الحاضر منصب رئيس القسم كان هو المسئول عن وصف بعض كبار مدرسى المغرب بأنه "صدر المدرسين .

وربما كان هذا المنصب متوافرا في المدارس الكبيرة من دون المدارس الصغيرة ، فيما يتصور ، حيث يتعدد المدرسون وتتشعب المواد التدريسية كثيرا .

ومما سبق يتبين لنا أن وظائف المدارس المغربية تتفق إلى حد كبير مع مثيلاتها في مصر والشام واليمن ، وقد انحصرت تلك الوظائف في إمام يقوم بوظيفة الصلاة المرتبة في المدرسة ، ومن وظيفة الإمام فقط نتبين أن هذه المدارس كانت تؤدي فيها الصلوات الخمس فقط ، ولم تقم فيها الخطبة أو الجمعة لكون هذه المدارس لم تكن مساجد جامعة ، وإلى جانب وظيفة الإمام جاءت وظيفة المؤذن المكلف بإعلان الآذان ومراقبة أوقاته ، ومن أهم الوظائف التي أدرجت في المدارس وظيفة التدريس التي عين لها الفقهاء يعاونهم موظفون أقل يعرفون بالعونة. أما عدا ذلك من وظائف فكانت تخص جانب الحراسة والنظافة وهي وظائف موكل لأصحابها أعمال خاصة كالبواب والوقاد والخدمة ... وغيرها .

وخلاصة القول إن المدارس المرينية التي طبعت مستقبل التعليم بالمغرب الأقصى مؤسسات ملتصقة بمرحلة دينية سياسية معينة واختيار رسمي معين . وهي بجانب ارتباطها بظرفية داخلية مضبوطة – لم يكن لها إلا أن تتموضع في إطار جهوى واسع ووضعية عامة إسلامية أوسع.

ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث

١ – حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي في المغرب ، لبنان ، منشورات المكتبة البولسية ، ١٩٨٢ ص ٣٦ .

٢ – محمد بن أحمد بن شقرون : مظاهر الثقافة المغربية من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ١٩٨٢ ، ص ١٩٢ .

٣ – محمد عادل عبدالعزيز : التربية الإسلامية في المغرب ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧، ص ٣ ، ٤ .

٤ – محمد بن بن شقرون : مرجع سابق ، ص ١٣٦ ، ١٤٣ . وأيضا

– حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في افريقيا ، ط٢، القاهرة ، دار الفكر العربي ،١٩٨٦ ص ١٧.

محمد بن تاويت ، محمد الصادق عفيفي: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ، ج١ ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ١٩٨٢ ، ص ١٢.

٥ – ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج٢ ، ط٣ ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ،١٩٩٣ ص ٦.

٦ – محمد محمد الكحلاوي : المدارس المغربية ، مجلة العصور ، المجلد السادس ، الجزء الأول ، لندن، دار المريخ للنشر ، يناير ١٩٩١ ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

٧ – محمد بن تاويت ، محمد الصادق عفيفي : مرجع سابق ، ص ١٩٥ وأيضا

- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ج٤ ، ط٦ ،

القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٣ ، ص ١٥٣.

- السيد عبدالعزيز سالم : تـــاريخ المغــرب فـــي العصـــر الإســـلامي ، ط٢ ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٢ ، ص ٧٨١.
- ابن خلدون (عبدالرحمن بـــن محمد بن خلدون ت ٨٠٨ هـ) : المقدمــــة ، تحقيق درويش الجويدي ، ط٢ ، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشــــر ، ١٩٩٧ ، ص ٢٧٦ .
- على بن أبي ذرع الفــــــاسي : الذخيرة السنية في أخبار الدولـــة المرينيـــة ، الرباط ، دار المنصور ، ١٩٧٢ ،ص ١٤ .
- حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة ، الزهراء للإعــــلام العربـــي ، ١٩٨٧ ، ص ١٨٢ .

٨ – صالح محمد فياض أبو دياك : نظم الحكم والإدارة في دولة بني مريــــن ، ماجســتير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٧

٩ – محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلـــس فـــي العصــر المريني ، ط ٢ ، الكويت

دار القلم للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ ، ص ١٠.

١٠ – المرجع السابق ، ص ٣٧.

١١ – ابن خلــدون (عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ) : تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتـــــــــــدأ والخبر في أيـام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكــبر)، المجلد السابع ، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشـر ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٨ .

١٢ – صالح محمد فياض أبو دياك : مرجع سابق ، ص١٣٠ .

١٣ – محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٣٣٧ .

١٤ – المرجع السابق ، ص ٣٣٧ .

١٥ – ابن بطوطة : الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) ، شرحه طلال حرب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص ٦٨٨ .

١٦ – محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ٣٤٠ .

١٧ – نفس المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

١٨ – عبدالله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج١ ، ط٢ ، بيروت ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، ١٩٦١ ، ص ١٨٤ .

١٩ – نفس المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

٢٠ – نفس المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

٢١ – نفس المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

٢٢ – نفس المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

٢٣ – نفس المرجع السابق ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

٢٤ – محمد بن مرزوق التلمساني : المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس ريبيرا ، الجزائر الوطنية ، بدون ناشر ، ١٩٨١ ، ص ٤٠٥ .

٢٥ – ابن الأبار (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر القضاعي) : التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الأول ، مدريد ، بدون ناشر ، ١٨٨٦ ، ص ٧٣ . أنظر أيضا

- حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، دار النهضة المصرية ، ١٩٥٧ ،

- ص ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

٢٦ - عبدالواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، محمد العربي العلمي ، الدار البيضاء ، دار الكتاب، ١٩٧٨ ، ص ٢٥٤.

٢٧ - صلاح السيد عبده رمضان : التربية الإسلامية بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين ، دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ببنها ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٤ ، ص٢٠١ .

٢٨ - أبو الحسين بن القطان : نظم الجمان ، تحقيق محمود على مكي ، تطوان ، ١٩٦٥،ص ١٣٩، ١٤٠

٢٩ - مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد ، بغداد دار الشئون الثقافية ، ١٩٥٨، ص ٢١٠ ، ٢١١.

٣٠ - محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، تطوان، معهد مولاى الحسن، ١٩٥٠ ، ص ٢١.

٣١ - صلاح السيد عبده رمضان : التربية الإسلامية بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين ، مرجع سابق، ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ .

٣٢ - صلاح السيد عبده رمضان : تطور المدارس في العالم الإسلامي منذ نشأتها حتى الفتح العثماني ، ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ببنها ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٠ ، ص٨٠ .

٣٣ - إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ص١٣٤ .

٣٤ - محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص٣٢٤ .

٣٥ – الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف أفريقيا ، الجزء الأول ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، الرباط ، الجمعية التاريخية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٨٠ ، ص٢١٨ ،٢١٩ .

٣٦ – محمد محمد الكحلاوي : مرجع سابق ، ص٩٤ .

٣٧ – على بن أبى ذرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، دار المنصور ، ١٩٧٣ ، ص ٤١٢ .

٣٨ – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج٣ ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٥٤ ، ص١٧٦ .

٣٩ – محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، الرباط ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٧٩ ، ص ١٩٨ .

٤٠ – روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، مكتبة لبنان ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، نيويورك ، ١٩٦٧ ، ص ١٧٥ .

٤١ – على بن أبى ذرع : مرجع سابق ، ص ٤١٢ .

٤٢ – السيد عبدالعزيز سالم : مدارس فاس ، مجلة الشعب ، العدد (٧٨) ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٠٤ .

٤٣ – ابن مرزوق : مرجع سابق ، ص ٤٠٧ .

٤٤ – محمد محمد الكحلاوي : مرجع سابق ، ص ١٠١ .

٤٥ – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

٤٦ – محمد محمد الكحلاوي : مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

٤٧ – محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، مرجع سابق ، ص١٩٩ .

٤٨ – محمد محمد الكحلاوي : مرجع سابق ، ص١٠٥ .

٤٩ – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق ، ص١٧٦ .

٥٠ – المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

٥١ – محمد محمد الكحلاوي : مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

٥٢ – على الجزنائي : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٩٦٧ ،ص٥٣

٥٣ – المرجع السابق ، ص ٥٣ .

٥٤ – محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، مرجع سابق ، ص١٩٧ .

٥٥ – محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٣٢٦ .

٥٦ – محمد محمد الكحلاوي : مرجع سابق ، ص٧٧ .

٥٧ – إبراهيم القادري بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامي ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

٥٨ – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق ، ص ١١١ .

٥٩ – المرجع السابق ، ص١١٢ .

٦٠ – على بن أبى نرع الفاسي : مرجع سابق ، ص ٤١٢.

٦١ – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق ، ص ١١٢ .

٦٢ – وداد القاضي : نبذة عن المدرسة في المغرب حتى أواخر القرن التاسع الهجري ، مجلة الفكر العربي العدد (٢١) ، السنة الثالثة ، بيروت ، معهد الانماء العربي ، يوليو ١٩٨١ ، ص ٧٢، ٧٣ .

٦٣ – المرجع السابق ، ص ٧٨ .

٦٤ – محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

٦٥ – المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

٦٦ – محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

٦٧ – روجيه لوتورنو : مرجع سابق ، ص ١٧٨ ، ١٨٠ .

٦٨ – الحسن بن محمد الوزان الفاسي : مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

٦٩ – روجيه لوتورنو : مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

٧٠ – المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

٧١ – محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

٧٢ – روجيه لوتورنو : مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

٧٣ – محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٣٤٠ .

٧٤ – المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

٧٥ – ابن مريم التلمساني (أبو عبدالله محمد بن محمد بن احمد): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، الجزائر ، المطبعة الثعالبية ، ١٩٠٨ ، ص ٤١ .

٧٦ – محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٣٥٥ .

٧٧ – وداد القاضي : مرجع سابق ، ص٧٦ .

٧٨ – روجيه لوتورنو : مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

٧٩ – عبدالله كنون : مرجع سابق ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

٨٠ – المقري (أحمد بن محمد المقري التلمساني) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المجلد الخامس ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت، دار صادر ، ١٩٦٨ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٨١ – ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٤٦٨ .

٨٢ – روجيه لوتورنو : مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

٨٣ – محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، مرجع سابق ، ص٢١٧ .

٨٤ – ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص٣٦٠ .

٨٥ – على بن أبى ذرع : مرجع سابق ، ص ٤١٣ .

٨٦ – ابن مرزوق : مرجع سابق ، ص ٤٠٦ .

٨٧ – وداد القاضي : مرجع سابق ، ص ٤٧٠ .

٨٨ – المرجع السابق ، ص ٧٤ .

٨٩ – المرجع السابق ، ص ٧٤ .

٩٠ – المرجع السابق ، ص ٧٤ .

٩١ – المرجع السابق ، ص ٧٥ .

٩٢ – المرجع السابق ، ص ٧٥ .

٩٣ – ابن مريم التلمساني : مرجع سابق ، ص ٢٦٤ .